

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



سؤالين

المهمّات السياسيّة

للجامعة الشيوعيّة لشغيلة الشرق

خطاب في اجتماع طلبة الجامعة الشيوعيّة لشغيلة الشرق

موسكو في 18 أيار 1925

ترجمة

محمد علي العربي

نشر النشر البلشفي العربي

نونس، كانون الأول 2011

الطبعة الرقميّة الأولى. تونس، تشرين الثاني 2011.
الطبعة الرقميّة الثانية. تونس، كانون الأوّل، 2011.

النسخ مجّانا.

(...)

لننتقل إلى الموضوع الثاني؛ إلى قضية مهمات الجامعة الشيوعية لشغيلة الشرق في بلدان الشرق المستعمرة والتابعة. ما هي خصائص طابع وجود هذه البلدان وتطورها والتي تميزها عن الجمهوريات السوفيتية في الشرق؟

أولاً. تعيش هذه البلدان وتتطور في ظلّ الاضطهاد الإمبريالي. ثانياً. إنّ وجود اضطهاد مزدوج؛ اضطهاد داخلي (من برجوازيها) واضطهاد خارجي (من البرجوازية الإمبريالية الأجنبية)، يشدّد من خطورة الأزمة الثورية في هذه البلدان ويعمّقها.

ثالثاً. إنّ في بعض هذه البلدان ومثال ذلك الهند، نمو الرأسمالية بوتيرة سريعة، فتخلق وتصر طبقة لها أهمية عددية معيّنة من العمال المحليين.

رابعاً. تنقسم البرجوازية الوطنية في هذه البلدان إلى قسمين خلال نمو الحركة الثورية، أحدهما ثوري (البرجوازية الصغيرة) والآخر مساوم (البرجوازية الكبيرة)، ويواصل الأوّل النضال الثوري، في حين يألّف الثاني تكتلاً مع الإمبريالية.

خامساً. نرى إلى جانب هذا التكتل الإمبريالي، تشكّل تكتلاً آخر في هذه البلدان؛ تكتل من العمال والبرجوازية الصغيرة الثورية، تكتل معادي للإمبريالية، يضع على عاتقه هدفاً له هو التحرّر الكامل من الاضطهاد الإمبريالي.

سادسا. إنّ قضيّة هيمنة الطبقة العماليّة في هذه البلدان وتحرير الجماهير الشعبيّة من تأثير البرجوازيّة الوطنيّة المساومة تكتسي طابعا ملحاّ يزداد التهابا على الدوام.

سابعا. تسهّل هذه الحالة، بقدر كبير، تحالف حركة التحرّر الوطني في هذه البلدان بالحركة العماليّة في بلدان الغرب المتقدّمة. ويترتّب عن ذلك ما لا يقلّ عن ثلاثة استنتاجات:

1. إنّ تحرير البلدان المستعمرة والتّابعة من الإمبرياليّة هو أمر غير ممكن دون ثورة مظفّرة؛ فلا يمكن بلوغ الاستقلال بلا مقابل.

2. السّير بالثورة إلى الأمام وكسب الاستقلال التّام في المستعمرات والبلدان التّابعة المتطوّرة من التّاحية الرأسماليّة هو أمر مستحيل دون عزل البرجوازيّة الوطنيّة المساومة، ودون تحرير جماهير البرجوازيّة الصغيرة الثّورية من نفوذ تلك البرجوازيّة، ودون تحقيق هيمنة الطبقة العماليّة، ودون تنظيم العناصر المتقدّمة من الطبقة العماليّة في حزب شيوعي مستقل.

3. إنّ كسب انتصار دائم في البلدان المستعمرة والتّابعة هو أمر مستحيل دون تحالف حقيقي بين حركة التحرّر في تلك البلدان والحركة العماليّة في البلدان المتقدّمة في الغرب.

تكمّن المهمّة الرئيسيّة عند شيوعي البلدان المستعمرة والتّابعة في أن يستندوا إلى هذه التّنتائج في عملهم الثّوري.

إذن، ما هي المهات المباشرة عند الحركة الثّورية في المستعمرات والبلدان التّابعة؟

خصوصية المستعمرات والبلدان التابعة في الوقت الحاضر هي أنه لم يعد هنالك شرق مستعمر واحد وشامل. قبلا، كان يقدم الشرق المستعمر على أنه كلّ متجانس. والآن لم تعد هذه الفكرة تطابق الواقع؛ فلدينا الآن ما لا يقل عن ثلاث فئات من البلدان المستعمرة والتابعة. أولا. دول من نوع المغرب، ليس فيها طبقة عمالية تقريبا، وليس فيها تطورا صناعيا قط. ثانيا. بلدان من نوع الصين ومصر، ضعيفة التطور الصناعي وفيها طبقة عمالية تعدادها ذو شأن نسبيا. ثالثا. بلدان من نوع الهند، فيها بعض التطور من الناحية الرأسمالية، وطبقة عمالية وطنية ذات تعداد كبير بعض الشيء.

من الواضح أنه لا يمكن في أي حال من الأحوال أن نضع كل هذه الدول نفس الإطار.

بالنسبة لدول مثل المغرب، حيث ليس للبرجوازية الوطنية أي سبب للانقسام إلى فئتين؛ ثورية ومساومة، فإن مهمة العناصر الشيوعية هي اتخاذ جميع التدابير اللازمة لإنشاء جبهة وطنية متحدة ضد الإمبريالية. إن تجميع العناصر الشيوعية في حزب شيوعي وحيد لا يمكن أن يكون هذه البلدان إلا خلال النضال ضد الإمبريالية، وخصوصا بعد الانتصار عليها في حرب ثورية.

في بلدان مثل مصر والصين، حيث البرجوازية الوطنية قد انقسمت إلى قسمين؛ ثوري ومساوم، لكن هذا الأخير لا يستطيع بعد أن يلتحم بالإمبريالية، فلا يجب على الشيوعيين أن

يضعوا تشكيل جبهة وطنية متحدة ضدّ الإمبرياليّة هدفًا لهم. فيجب على الشيوعيين في تلك البلدان أن يمرّوا من سياسة الجبهة الوطنيّة المتّحدة إلى سياسة الاتحاد الثوري للعمال والبرجوازيّة الصّغيرة. يمكن أن يأخذ هذا التحالف، في تلك البلدان، شكل حزب واحد، حزبا عمالي وفلاحي من طراز الكيومينتانغ شرط أن يمثّل هذا الحزب ذو الطّراز الجديد، فعلا، تحالف قوتين - الحزب الشيوعي والبرجوازيّة الصّغيرة الثوريّة. فضح الطّابع المتقلّب وعدم الانسجام عند البرجوازيّة الوطنيّة. والنضال الحازم ضدّ الإمبرياليّة - تلك هي أهداف هذا التحالف. مثل ذلك الحزب ذي التركيبة المزدوجة ضروري وملائم إذا كان لا يقيّد عمل الحزب الشيوعي؛ إذا كان لا يعرقل حريّة الحزب الشيوعي في التّحريض والدّعاية؛ وإذا كان لا يمنع التفاف العمال حول الحزب الشيوعي؛ وإذا كان يسهّل على الحزب الشيوعي القيادة الفعليّة للحركة الثوريّة. إنّ هذا الحزب ذي التركيبة المزدوجة ليس ضروريا ولا فائدة منه إذا لم يكن يستجيب لتلك الشّروط. لأنّه لا ينتهي في ذلك الحال إلّا إلى أن تذوب العناصر الشيوعيّة في صفوف البرجوازيّة، وإلى أن يفقد الحزب الشيوعي الجيش العمالي.

يختلف الأمر بعض الشيء في بلدان مثل الهند. إنّ ما هو جوهرى وجديد في حياة مستعمرات من قبيل الهند هو أنّ ليس فقط انقسام البرجوازيّة الوطنيّة إلى قسمين الأول ثوري والآخر

مساوم، ولكن، وقبل كل شيء، هو أنّ القسم المساوم من البرجوازية قد نجح في التفاهم مع الإمبريالية، من حيث الأساس. إنها تخاف الثورة أكثر مما تخاف الإمبريالية، وتقلق على أرسدها أكثر مما تقلق على مصالح وطنها. لقد أصبح هذا القسم من البرجوازية، وهو الأكثر غنا وتأثيراً، يقف بكتنا قدميه في معسكر ألد أعداء الثورة، بتأليف تحالف مع الإمبريالية ضدّ عمال وفلاحى بلاده. لا يمكن أن تنتصر الثورة دون تدمير هذه التحالف، لكن حتى نتمكن من تدمير هذا التحالف، وجب علينا أن نركز نيراننا على البرجوازية الوطنية المساومة، فنفضح خيانتها، ونحرّر الجماهير الكادحة من تأثيرها، ونهبي، بانتظام، الظروف الضرورية لهيمنة الطبقة العاملة. وبعبارة أخرى، في مستعمرات من قبيل الهند، يجب إعداد الطبقة العاملة لدور قيادة حركة التحرر، بطرد البرجوازية وممثليها من هذا الدور الشرقي، شيئاً فشيئاً.

إنشاء تحالف ثوري معادي للإمبريالية، وضمان هيمنة الطبقة العاملة عليه - تلك هي المهمة. يمكن لهذا التحالف، ولكن دون أن يكون ذلك دوماً بالضرورة، أن يكون على نحو حزب عمالي فلاحى وحيد، مرتبط من جهة الشكل، بأرضية واحدة؛ ويجب أن تكون استقلالية الحزب الشيوعي في هذه البلدان الشعار الرئيسي عند العناصر الشيوعية المتقدمة، فلا يمكن أن يعدّ لهيمنة الطبقة العاملة وينجزها إلا الحزب الشيوعي. لكن، يمكن للحزب الشيوعي، ويجب عليه أن يألف جهة مفتوحة مع الجناح الثوري

من البرجوازية لعزل البرجوازية الوطنية المساومة، ويقود الجماهير التي لا تحصى من البرجوازية الصغيرة الحضرية والريفية في النضال ضد الإمبريالية.

لذا، فإنّ مهمات الحركة الثورية المباشرة في المستعمرات والبلدان التابعة المتقدمة من الناحية الرأسمالية هي:

1. كسب أفضل عناصر الطبقة العمالية إلى الشيوعية، وخلق أحزاب شيوعية مستقلة؛

2. تأليف تحالف وطني ثوري من العمال والفلاحين والمتقنين الثوريين ضد حلف البرجوازية الوطنية المساومة والإمبريالية؛

3. ضمان هيمنة الطبقة العمالية في هذا التحالف؛

4. والنضال من أجل تحرير البرجوازية الصغيرة الحضرية والريفية من تأثير البرجوازية الوطنية المساومة؛

5. ضمان تحالف حركة التحرر مع الحركة العمالية في البلدان المتقدمة.

تلك هي المجموعات الثلاث من المهمات المباشرة التي توضع أمام المناضلين النشطين في البلدان الشرق المستعمرة والتابعة.

تكتسي هذه المهمات طابعا جديا خاصا وأهمية خاصة إذا تناولناها على ضوء الوضع الدولي الراهن. يتميز الوضع الدولي، حالياً، بطور من الهدوء المؤقت في الحركة الثورية. لكن، ماذا ما معني هدوء، وما يعني ذلك الآن؟ لا يمكن أن يعني ذلك سوى زيادة الضغط

على عمال الغرب، وعلى مستعمرات الشرق، وقبل كل شيء على الاتحاد السوفييتي حامل راية الحركة الثورية في جميع البلدان. فلا يمكن الشك في أنّ إعداد هذا الضغط على الاتحاد السوفييتي قد بدأ بالفعل في صفوف الإمبرياليين. حملة تشويه الانتفاضة في استونيا؛ حملة الإثارة والكذب على الاتحاد السوفييتي بخصوص الانفجار في صوفيا؛ وحملة شاملة تشنّها الصحافة البرجوازية على بلادنا - تكوّن كل هذه الوقائع مرحلة إعداد الهجوم. إنّه تحضير العدة للرأي العام قصد تعويد الناس على العدوان على الاتحاد السوفييتي، وخلق ذرائع أخلاقية لتدخل عسكري. وعمّا ستسفر هذه الحملة من الكذب والتضليل؟ سنرى إن كانت الإمبريالية ستجازف بشنّ عدوان جدّي. لكن هذا العدوان لا يبشّر المستعمرات بخير، ولا شكّ في ذلك. لذا، فإن القضية التي لا مفرّ منها اليوم هي أنّ تعدّد قوى الثورة مجتمعة هجوما مضادا لصدّ ضربة محتملة من الإمبريالية.

لهذا السبب يكتسي التنفيذ القويم للمهام المباشرة عند الحركة الثورية في المستعمرات والبلدان التابعة أهمية كبيرة بقدر خاص في الوقت الراهن.

ما هي مهمّة جامعة شعوب الشرق نحو البلدان المستعمرة والتابعة في ضوء كل هذه الملاحظات؟ تكمن مهمتها في أن تأخذ جميع خصوصيات الحركة الثورية في هذه البلدان بعين الاعتبار وأنّ

تكوّن كوادِر قادمة من ذات البلدان على نحو يضمن تحقيق المهمات المتنوّعة والمباشرة المعروضة آنفاً.

تعدّ جامعة شعوب الشّرق حوالي عشر مجموعات مختلفة من الطلاب حلّوا عندنا من البلدان المستعمرة والتّابعة. الجميع يعرف أن هؤلاء الرّفاق منعطشون للتّنوير والمعرفة. مهمّة جامعة شعوب الشّرق هي أن تكوّن منهم ثوّاراً حقيقيّين مسلّحين بالنّظرية اللينينية، ومحصّنين بالتّجربة العمليّة اللينينية وقادرين على انجاز المهمات المباشرة عند حركة التّحرّر في المستعمرات والبلدان التّابعة بوفاء وبأتمّ الوعي.

لا يجب عند القيام بذلك أن يغيب عن نظرنا وجود ضربان من الانحراف في عمل المناضلين النّشطين في الشّرق المستعمر؛ انحرافات يجب محاربتها حتّى تتكوّن كوادِر ثوريّة حقيقية.

يمثّل الانحراف الأول في الانتقاص من أهميّة الإمكانات الثّورية عند حركة التّحرّر، وتعظيم أهميّة فكرة الجبهة الوطنيّة المتّحدة التي تشمل الكلّ في المستعمرات والبلدان التّابعة بغضّ النظر عن حال تلك البلدان ودرجة تطوّرها؛ إنّه الانحراف اليميني، الذي يهدّد بشلّ الحركة الثّورية وذوبان العناصر الشيوعيّة في جوقة الوطنيّين البرجوازيّين العامّة. والنضال الحاسم ضدّ هذا الانحراف هو واجب جامعة شعوب الشّرق المباشر.

الانحراف الثاني هو تعظيم أهميّة الإمكانات الثّورية عند حركة التّحرّر والانتقاص من أهميّة تحالف الطبقة العماليّة والبرجوازيّة

الثورية ضدّ الإمبريالية. وأعتقد أنّ الشيوعيين في جاوة قد أصيبوا بهذا الانحراف، فقد وقعوا في خطئٍ لما أعلنوا مؤخرًا شعار السّلاطة السّوفيتيّة في بلادهم؛ إنّهُ الانحراف اليساري، الذي يهدّد بانفصال الحزب الشيوعي عن الجماهير، وتحويله طائفة. والنضال الحاسم ضدّ هذا الانحراف هو الشرط اللازم لتكوين كوادر ثوريّة حقيقيّة في مستعمرات الشرق وبلدانه التّابعة. تلك هي، إجمالاً، المهام السياسيّة لجامعة شعوب الشرق نحو شعوب الشرق السّوفيتيّة والمستعمرة. نأمل أن تنجز جامعة شعوب الشرق هذه المهام بشرف ❁

نشر
أكتوبر 2012